التراث في «أغاني مهيار الدمشقي»

إشعاعات وجدانية وفنية ومعرفية عميقة في الثقافة العربية لشخصيات ذات تأثير

د. راتب سكر

مدخل:
«نحن أبناءَ هذا الزمانِ الصغيرْ.
أسْلمتْنا البحار الأمينهْ
البحارِ التي ترتّلُ مرثيّة الرحيلْ
أسْلمتْنا إلى المتاهْ»

-١-

كان أدونيس في السابعة والعشرين من العمر عندما أصدر ديوانه الأول «قصائد أولى» عام ١٩٥٧، وديوانه الثاني «أوراق في الريح» عام ١٩٥٨، المسكونين بغنائية رومانسية أمينة على وشائج صلاتها بالقيم الفنية الشعرية الكلاسيكية العربية الجديدة، من جهة، وعلى مجداف مركبها المتوحد بحزن فياض بتوقه إلى جزر خضراء بمفردات طبيعة بكر، من جهة أخرى. توحد سيظل يدفق موجات فيضه النورانية، ذات الآفاق الصوفية العالية، في تجربته الشعرية اللاحقة، موقظا بين سطورها حنينا رومانسيا إلى أم صوفية بعيدة، تستعين رغبته في التواري بما ملكت يداها من قدرات على استحضار شخصيات ثقافية تراثية، ويرن على جناح من ذلك التواري قول شارل بودلير: «إن الرومانسية تركت فينا جراحا، لن تندمل!».
بعد ثلاث سنوات فقط مرت على صدور ذينك الديوانين، أصدر أدونيس ديوانه الثالث «أغاني مهيار الدمشقي»، عام ١٩٦١، مكملا بنهج استلهام التراثين العربي والعالمي، على جناح من تقانات الرمز والقناع والمرآة والتناص وغيرها، الأسس الجوهرية التي بشرت بها دواوينه الثلاثة الأولى، مسارا أساسا لتجربته الشعرية اللاحقة كلها.

-٢-

تفتتح عتبة العنوان في ديوان «أغاني مهيار الدمشقي» ، موكبا من أغان، لائقا باستحضار شخصية شاعر غنائي مهم من التراث، هو مهيار، فتتهادى القراءة منذ مفتتحها، على جناح معرفي يستعيد نصوصا غائبة من سيرة مهيار الديلمي (ت١٠٣٧م)، وقصائده، تلميذ الشريف الرضي في بغداد، الذي تفتح له صفة «الدمشقي»، فرصة ذهبية لوحدة جوهرية مع ذات الشاعر من جهة، وجغرافية الوجود واتجاهات مكوناته من جهة أخرى. تلك الفرصة ستجد في استلهام شخصيات ذوات إشعاعات وجدانية وفنية ومعرفية عميقة في الثقافة العربية، مثل: «مهيار، وعمر بن الخطاب (ر)، وجبلة بن الأيهم، وأبي نواس، والحلاج، وبشار بن برد»، وشخصيات ثقافية إغريقية مثل «أورفيوس، وأوديس، وسيزيف»، وشخصيات دينية مثل «آدم ونوح» (ع)، حوامل فنية مناسبة لتجلي بريق وحدة جوهرها.

-٣-

تتعالق تقانات استلهام التراث في ديوان «أغاني مهيار الدمشقي»، بائحة بسر جوهري من أسرار مكانة المرآة، بينها، تلك المكانة التي ستتبلور في دواوينه اللاحقة، بعد أن بدا حضور مهيار المنبثق من جوهر الوجود والذات في وحدة مطلقة، يسوغها مفهوما التماثل والتوءمة، بصياغتهما رؤية النص الشعري لذوات مكوناته في مقابلة الوجود والعالم، بمثل قول الشاعر:

«الليلُ أبوابٌ وساحرات
في رئتيْ مهيارْ
في وجهه الأصفر في يديهْ
مت مثلَنا ضعْ معنا يا آدمَ الحياةْ
أبْحِرْ بنا إليهِ
توءمُنا وتوءمُ النهارْ».

إن إشراق انبثاق «آدم الحياة»، في صورة مهيار، بعد «موته مثلنا، وضياعه معنا»، يضمر رؤيا تموزية، تؤسس بها التوءمة، في مآل النص الشعري، وشاطئ ختامه، «توءمنا وتوءمُ النهار»، ولادة جديدة، سريرها الفكري جوهر وحدة الوجود، وأراجيح فنها العالي وحدة الشكل والمضمون منبثقة من مرايا التوحد والتماثل والتوءمة.

-٤-

يتألف ديوان «أغاني مهيار الدمشقي»، من عدد كبير من وحدات شعرية تشكيلية، يستقل كل منها بعنوان خاص، ويتعالق مع غيره في فضاء مشترك، تعالقا يهيمن فيه جوهر من ثنائيات الموت والانبعاث، وهو جوهر ذو طبيعة تموزية ستتأسس بها التجربة الشعرية اللاحقة للشاعر، في بعديها الفكري الرؤيوي المضموني، والفني التخيلي التشكيلي.
هذا الجوهر المنبثق من شفير هوّة بين غياب وحضور، بين طوفان وخضرة، بين موت وحياة، يجد هنا باستلهام شخصيات من التراث الثقافي الديني، أو التراث الأدبي، مكونات مفيدة لغاياته المعرفية. تتكرر مع حضور شخصيتي «آدم» و«نوح» (ع)، ثنائيتا الصمت المساوي العدم، وموت البشر المساوي العدم، مقابل الجنة المساوية الحياة، ورجعة الحمامة المساوية الحياة، فيقول الشاعر في مقطوعة «آدم»:

(وشوشني آدمْ
بغصّة الآه
بالصمتِ بالأنّهْ —
«لستُ أبا العالمْ
لمْ أُلْح الجنّه
خذني إلى الله»).

صمت آدم ونكرانه أبوة العالم، يبدوان نفي نفي لعالم غير مرغوب فيه، وتوقا إلى تمرد لغوي وفكري ووجداني ينتصر لجانب الحياة، في ثنائيات العدم والحياة، انتصارا ستتعمق دلالاته في المنجز الشعري اللاحق للشاعر. وما نفي الرغبة في رجعة الحمامة إلى السفينة في لوحة التشكيل الشعري الذي جاء بعنوان «الطوفان» إلا شكل من أشكال نفي غايته إثبات عودة حمامة من رجاء، يضمر انبعاثا، فيصبح وصف الطوفان الغامر العتيق في كوكب لا يدور، مضمرا لتمرد على ما هو كائن، يصل ذروته في رفض الرجاء المعلق بجناح رجعة الحمامة، إلى السفينة، فيقول الشاعر:

«إنّ طوفاننا كوكبٌ لا يدورْ
إنّه غامرٌ وعتيقْ —
ربما نتنشّقُ فيه إلهَ العصور الدفينَه
فاذهبي، لا نريدك أن ترجعي يا حمامة».

ثمّة شك ويقين يحتضنان تمردا فكريا ووجدانياً في صياغة ثنائية الوجود والعدم، عدم يغرق في وحوله وجود العالم، وتتوق رؤيا الشاعر إلى مواجهة هذا العدم برفض متمرد يضمر توقا إلى انبعاث الحياة، في فضاء شعري ستمتد آفاقه في غير اتجاه من رحلات رؤى لا تنضب سلالها في دروب قصائد الشاعر.

أدونيس

تمنيت يا هند

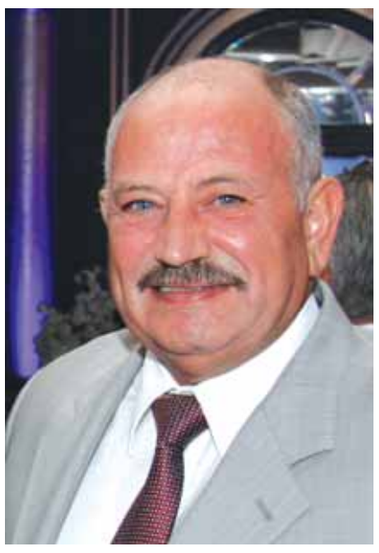

كنت أحلم وبنيت مملكة من الأمنيات أراها بوجهك منذ طفولتك، وفي كل مرحلة من مراحل حياتك كنت أتابع ذلك البريق في عينيك، عندما كنت تذهبين للمدرسة، ثم عندما دخلت الجامعة ثم التخرج. سكبت عيناي الدموع مرتين، مرة عندما حملت شهادتك الجامعية الطبية من جامعة دمشق، والمرة الثانية في خطبتك. هذا اليوم الذي أبارك لك فيه ما ارتضيت أن يكون لك بمحض إرادتك. اليوم سيزين خاتم خطبتك أناملك وأراك الأميرة التي حلمت بها طوال حياتي، أراك ملكة الفراشات في حدائق الدنيا. خاتمك ذاك أيقظ شريط الذكريات المعمد بدمعة فرح تسكبها عيناي. يا أميرتي الوحيدة التي نثرت ألوانها على كل جدران منزلي، وطالما احتفظ بعبق عطرك في زواياه، وثنايا أثاثه، في خزانتك، في ثيابك، وفي كل نسمة تعبر نافذة غرفتك. هذا العبق الذي كان يمتلكني بمشاعر أب يتماسك أمام عاطفته عندما يسمع صوتك منادياً (بابا).
رحبت بقرارك لثقتي بقدرتك وما تملكينه من وعي لرسم مسار مستقبلك، قرارك بالارتباط بمن اخترت أيقظني من حلمي لأعيش الواقع، ها هي تلك الأميرة الصغيرة التي ملكت روحي وعقلي سأراها عروساً تزين بابتسامتها كل لحظة في حياتي، أتيتك من بلدي (سورية) إلى بلد غربتك حاملا معي عقداً من ياسمينها وصندوقاً من خشب زيتونها وخاتماً من ترابها وعطراً من ليمونها، لم أجد أثمن من تلك الهدايا لأقدمها لك، فرائحة الوطن وياسمينه أغلى ما يمكن للإنسان أن يمتلكه، وبالذات عندما لا يتخلى عن الانتماء لذلك الوطن.
تمنيت يا هند أن يكون الفرح في بلدنا سورية فلم أكن أتخيل في حياتي أن أبتعد أنا وأنت آلاف الكيلومترات عن بلدي عن الأرض التي كتبنا عليها ذكرياتنا، عن تلك الشوارع التي مشيتها مع أصدقائك، وكان لك فيها أجمل ذكريات الطفولة والشباب، كنت أرفض فكرة أن أقيم فرحك من دون حضور كل من تخرج طبيبا معك، أو كل من كان صديقا لك إلا أن المخاض الأليم الذي يعيشه وطننا حال دون تحقيق هذه الأمنية، نعم يا أميرتي فشعورنا بألم بلدنا حتى ونحن بعيدون عنه نعيش لحظات سعيدة حلمنا بها نتمنى لهذه اللحظات أن تمتزج بفرح وسلام يعم بلدنا المجروح.
تمنيت يا هند أن يكون الفرح في سورية يجمع الأقرباء والأصدقاء والأحباب، ليكون الفرح شاملاً، تمنيت أن أسمع في فرحك أهازيج بلدنا وقصائد تراثنا وزغاريد بيئتنا، تمنيت أن أرافقك في أسواق الشام وحلب وحمص لتنتقي ما شئت من لوازمك، تمنيت أن أمسك يدك ونعبر حدائق الشام لأصل بك إلى قمة قاسيون محلقين في فضاءات مملكة الياسمين وأميرة السلام دمشق، تمنيت يا هند وحلمت إلا أن جرح بلدنا حال دون تحقيق ذاك الحلم الذي طالما انتظرت تحقيقه، تمنيت أن أسمع أجراس الكنائس تقرع فرحا بك، تمنيت أن أراك تصعدين ذاك الدرج العريض في بيتنا هناك في الجبال والذي حلمت بك عروسا تتخطينه درجة تلو أخرى، ويداك بيدي أخويك مجد وورد، خيالي هذا عشته منذ أن رسم الدرج على الورق قبل تنفيذه، حلمت وتمنيت وها أنا ذا أعيش واقع ما حلمت إلا أن المكان قد تغير، ولكن الجزء المهم من خيالي بقي وهو أنت، والأهم من كل ذلك ابتسامتك والفرح الذي يشع من عينيك عوضني عن كل ما أحبط من أحلامي فأنت أساس حلمي الذي تحقق بك وبفرحك.
نعم يا غاليتي ستقفين أمامي لأرى سورية بلدنا بنقائك وصفائك وأناقتك برائحة عطرك بجمال وجهك ونعومة يديك، نعم تتجسد سورية أمامي بكل زهورها وفراشاتها وأشجارها ونهرها وجبلها شامخة كشموخك، تتجسد سورية أمامي بسلامها وأمنها وأمانها.
أبارك لك خطبتك متمنيا لكما السعادة، واسمحي لي أن أعهد لك بأمانة، لا تنسي يا هند مهما ابتعدت أن لك بلداً له أفضال عليك، أكلت من قمحه وشربت من مائه ونهلت من علمه، وتذكري أن تاريخك فيه، ودائما رددي أمام الجميع أنك من وطن خرجت منه حضارات الدنيا، أنه في الشرق ولولا الشرق لما أضاءت شمس في سماء الأرض، هي سورية الجديرة والمستحقة لأن تكون مصدر اعتزاز لك ولإخوتك أمام كل العالم، وليكن الشاعر نزار قباني في ذاكرتك حين قال للشام:
هذي البساتين كانت بين أمتعتي
لما ارتحلت عن الفيحاء مغتربا
فلا قميص من القمصان ألبسه
إلا وجدت على خيطانه عنبا
بارك الله لك ولباسم ما بدأتما به.

والدك – عامر شهدا

برجك اليوم ٩/٢٤

نجلاء قباني

قد تشغلك قضية عائلية عن التفكير في قضايا أهم كالأعمال فلا تتضايق فما هو مفروض افعله بابتسامة ومن دون تذمر، ولا تضخم المشاكل ولا تكن حساسا.

حظوظك اليوم جيدة على صعيد الحب، وعواطفك تأخذ لوناً جديداً ومختلفاً فحاول أن تنهي المشاكل العالقة بدءاً بالأمور العملية وانتهاءً بالعاطفية.

المشاكل الموجودة حولك تحتاج إلى المال ما يستدعي صرفاً إضافياً وأنا أتمنى أن تكون قد ادخرت شيئاً من المال من السابق لأن هذا الشهر لصرف كثير ودخل قليل.

تتمتع بإشعاع وحزم وإصرار على تحقيق النجاح لأنك تمتلك معنويات مرتفعة وحيوية تتضاعف بسبب ثقتك في نفسك والجاذبية، قد تفكر بتغير في شكلك أو أسلوبك.

اليوم متعب للصداقات قد تسمع أخباراً مزعجة، قد يعاتبك الأصدقاء على كلام يقال فلا تجعل الماضي يؤثر فيك ويقلل من فاعليتك، فأنت تحاسب نفسك أو يحاسبك المحيط.

اتصال أو زيارة من غائب أو مصالحة أو طمأنة قد تسعدك وتخرجك من حالة الفوضى، يوم مناسب للتخطيط وربما تقوم برحلة أو نوع من الارتباطات الاجتماعية التي أجلتها.

لا تعتمد على آرائك فقط وخاصة حين تضطرك الظروف لأن تحكم على من حولك فأنت متسرع في أحكامك لذلك اترك من حولك يساعدك في الحكم على الأشياء.

أنت غفور بطبعك ومسامحاً ولا تعرف كيف تحمل حقداً أو أذى لغيرك وهذا ما تفعله في هذا اليوم في علاقاتك الشخصية، تقبل اعتذارات وتعاتب وتعبر عن عواطفك.

اليوم للمساعدات ولتخوض العديد من التجارب والاختبارات ولترتكز على حقائق واقعية تساعدك في تحسين وضعك المهني فاجعل عملك أهم اهتماماتك.

نشاطك غير متوقع، وتغيرات سريعة تتلاحق اليوم، فانتبه من الاستعجال فاليوم ليس مناسباً للشجارات أو الخلافات فقد يكون هناك بعض النزاعات.

الأجواء الفلكية تحفزك على بذل الجهود في العمل لأنه أساس حياتك ومصدر مالك، يوم للعمل الكثير ولن يأتيك النجاح بالمجان فأنت تعمل بجد واجتهاد لتحقق ذلك.

يمكنك أن تقدم نقاشك وقناعتك إلى الآخرين من دون أن تخاف على حججك وبراهينك لأنك قطعت نصف الطريق في أمورك والباقي يعتمد على دقة تعبيرك ومرحك.

كلمات متقاطعة

أفقي:
١- قيادي فلسطيني راحل- نعرف (م).
٢- مخرج سوري.
٣- يلمس – دور- ضاع (م).
٤- كفي- من الزهور- حروف متشابهة.
٥- مدينة سورية- أضواء.
٦- متشابهان- من أجزاء النبات (م)- حرف استفهام.
٧- من الأنبياء- نسبة إلى دولة عربية.
٨- عَتَبَ- نصف بيتي- من الأقارب.
٩- حرف عطف- آلة وترية موسيقية.
١٠- آلة موسيقية إيقاعية- عربة نقل.
١١- ماركة سيارات- بحر- شخصية سينمائية وكرتونية.
١٢- حرف ناصب- مقياس- حروف متشابهة.

عمودي:
١- قاص سوري راحل- أثر وبقايا.
٢- انتفاخ- متعاديان.
٣- دولة أوروبية- متشابهان- أشار (م).
٤- نصف جابر- هَدَمَ (م)- والدة.
٥- اشتاق- جدها في بواسلنا.
٦- حروف متشابهة- نصف قوام- حروف متشابهة.
٧- أخلاقي ونظيف- إحدى الحواس- علم مؤنث.
٨- مشروب بارد- متحمل.
٩- توفي- مياه جارية- أحرّك.
١٠- جَبَلَ (م)- يعتب (م)- حب.
١١- حلم (م)- نصف جهات- جواب.
١٢- شهر قمري (م)- حاجز- أرغب.

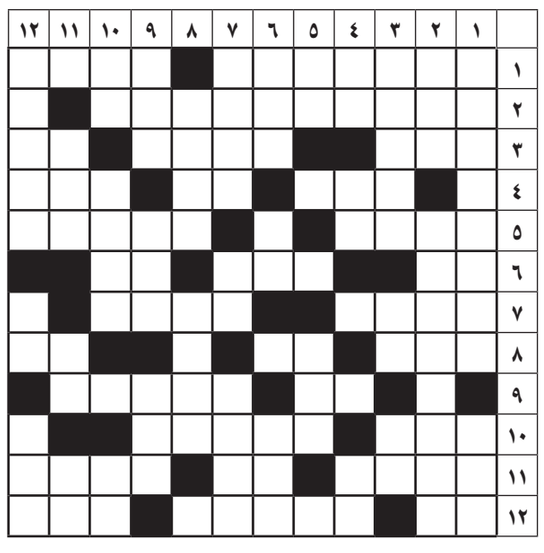

الحل السابق:

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١	س	ت	ا	ن	ل	ي	ك	ي	و	ب	ر	ك
٢	م	ج	ا	ل	ي	و	ر	■	ع	م	س	ر
٣	ي	ب	ا	ح	ت	■	س	ب	ي	ل	■	ر
٤	ر	ر	■	■	■	م	ا	ح	■	ن	و	ى
٥	غ	هـ	■	و	ا	و	■	■	م	■	س	ا
٦	ا	■	ع	■	ع	س	■	ن	و	ر	ي	ن
٧	ن	ع	ي	م	■	ا	م	ي	ل	■	م	و
٨	م	ر	ا	م	ي	■	ل	و	■	ر	■	ش
٩	■	ق	د	■	■	ر	ق	ن	■	ا	م	ر
١٠	م	■	هـ	ر	و	ب	■	■	ن	ي	■	و
١١	ر	ب	■	ي	■	■	د	و	ا	ا	■	ا
١٢	ح	س	ا	م	ا	ل	ش	ا	هـ	■	ب	ن

كلمة السر

و	ا	ن	ت	ظ	ر	ت	س	م	ا	ف	ج
و	ت	ع	و	ذ	ت	ي	ه	ا	ل	ا	م
ك	ل	م	ا	ب	ح	ل	ا	ل	ط	ش	ب
ا	ب	خ	ي	ر	خ	ا	ش	ء	ب	ت	ل
ل	ش	و	م	ن	ك	ل	غ	ا	ي	د	ل
ل	ر	ك	ج	ت	ي	ل	ي	م	غ	ش	ة
ه	ت	ل	س	ر	ن	ت	ث	س	ة	ك	م
ج	ح	م	د	ظ	ي	ي	ا	ل	ب	ر	ن
م	ب	ا	ي	ن	ع	ن	م	ا	ي	ت	ا
ع	ص	ي	ذ	ل	ا	ء	ا	م	س	ل	ا
ن	ا	ا	ل	ش	و	ا	ر	ع	ع	ل	ى
ا	و	ب	ة	م	ع	ن	ا	ل	م	ط	ر

كلمة السر مؤلفة من عشرة حروف: فنانة مصرية.

(كلما اشتد المطر... وأصبحت الشوارع مبللة بخير السماء... شكرت الله على نعمة الطبيعة... وتعوذت من شر الحب الذي جمعنا... ومن عينيك اللتين كلما نظرت بي جف جسدي... وانتظرت ماء غيث السماء...)

SUDOKU

	7		2		1	6	8	
8		6			7			5
		3	9					4
		7	4			9		
	1	5	6			3	2	
		2	5	1		7		
2					4	5		
7			1			8		2
	6	1	8		2		3	

تتألف اللعبة من تسعة مربعات كبيرة داخل كل منها تسعة مربعات صغيرة، يجب ملء المربعات الصغيرة بالأرقام على ألا يتكرر الرقم أكثر من مرة في كل مربع كبير وفي كل خط عمودي وأفقي.

الحل السابق:

6	7	3	4	9	2	8	5	1
2	5	4	8	6	1	9	7	3
8	1	9	3	5	7	4	2	6
1	4	5	7	2	8	3	6	9
9	3	8	5	1	6	7	4	2
7	2	6	9	4	3	5	1	8
5	9	2	1	8	4	6	3	7
4	6	7	2	3	9	1	8	5
3	8	1	6	7	5	2	9	4

الطقس

	اليوم	غداً
دمشق	١٧/٣٦°	١٧/٣٦°
حمص	٢٠/٣٤°	٢٠/٣٤°
حلب	٢٣/٣٦°	٢٣/٣٧°
اللاذقية	٢٥/٣٠°	٢٥/٣٠°
السويداء	١٩/٣١°	١٨/٣١°
الحسكة	٢٥/٤٢°	٢٥/٤٠°

من هو؟

كاتبة سورية، إذا جمعت الأحرف:

٢ + ٥: دَعْ أو اترك.
٤ + ٢: من الحواس.
١ + ٦: من الأطراف.
٧ + ٣: بحر.

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧

الحل السابق: رشيد عساف.